من الأدب الفرنسي

امرأة نوح ...

للأستاذ ناجي الطنطاوي

تناول الكاتب الكبير « جان نوروا » في هدأة من الليل ، في غرفة عمله المنعزلة ، الكتاب الذي وقع تحت يده وفتحه ، فالتقت نظراته بهذه الجملة :

« . . . عندئذ أمطر الله من السموات على سدوم وعمورة الكبريت والنيران ...

ولكن امرأة نوح نظرت خلفها ، فانقلبت في الحال تمثالاً من الحجر ... »

فقرأها ، ثم أغلق الكتاب المقدس

لقد كان هذا مع خياله الواسع ، نقطة ابتداء كافية جداً ... لقد وجد قصته . لم يبق إلا أن يسبكها في قالب جديد . ولفت نظره ، في جريدة بجانبه ، هذا العنوان الضخم :

« انتحار شاب في مطعم ليلي »

فقرأه وابتسم ... لقد تم له ما يريد ، وتألفت القصة . ليس هناك حاجة إلى النظر في أعمدة الجريدة . لقد كان بطله ماثلا أمامه ، يراه بوضوح : فتى ممشوق القد ، في العشرين من سنه ، أحرقته حمى حب ملتهب ، ولم تكن لديه الشجاعة الكافية للفرار فهلك . وما الفائدة من الاطلاع على التفاصيل التي توصل إليها مخبر الصحيفة ؟ لقد كانت عناصر الموضوع وتفاصيله التي تبعث فيه الحياة ، كانت تتجمع لديه شيئاً فشيئاً : المرأة الأفاقة ، والفتى الضحية ... وأخيراً الحكيم الذي تجده في كل قصة (صورة المؤلف ذاته)

كان جان نوروا يحس لذة فائقة في هذا التلاعب . ولكن كان يخيل إليه أن الكلمات والحوادث تأتيه هذه المرة بأسرع وأحسن من كل يوم .

وانقبض صدره فجأة . لماذا تسيل الكلمات بهذه السهولة على ريشته هذا المساء ؟

وتذكر أن هذه الكلمات ذاتها خرجت من بين شفتيه قبل الآن ... ومنذ وقت قريب ... على أثر مأساة كادت تزعزع كيانه وأخذ ينقض ، كالمحموم ، بين أوراقه المبعثرة على المكتب ...

وكان يتمتم : « مستحيل ! ليس من الممكن أن يكون (هو) قد وصل »

و (هو) كان ولده الذي تبناه ، موريس لا ندري ، ابن أعز أصدقائه عليه . شاب حدث ، قاد خطواته في الحياة . يتيم ، أخلص له ، هو ، جان نوروا ، الأعزب الأناني .

لقد كان يذكر كيف تقبله عنده ، وكيف أخذ يملأ قلبه وعقله من عقله وقلبه .

أجل ، لم تكن جائزة جونكور التي نالها موريس في السنة الماضية إلا له هو ، جان نوروا ، ولولاه ما نالها ...

ولكن ما كان أشد المأساة التي تبعت هذا النصر !

لقد علقت بموريس امرأة خطرة ، فتأثر بها بشكل مزعج ، بحيث أصبح من الضروري أن يتدخل جان نوروا ، بقسوة في الأمر .

أين كانت ستقوده هذه المخلوقة بعد تبديد دراهمه القليلة ؟ إلى الجنون ؟ إلى السرقة ؟ إلى الجريمة ؟ ربما

لقد قال له وهو يعظه : « انتقل من هذا البلد . غير هذه الحياة . سافر دون أن تلتفت وراءك ، وإلا فأنت هالك »

هه ! ... جملة التوراة بذاتها

وكانت تضطرب في يده إشارة تلغرافية من سيلون (الهند الصينية) :

« فجرت جداً ... سأعود ... أصدق عواطفي ... موريس »

لقد غاظته هذه الإشارة حين تلقاها . التذلل ! وأخيراً ، لا مناص من الحزم . لشد ما ساءه هذا

وها هي ذي إشارة أخرى بين يديه :

« سفرة هائلة ... سأكون في فرنسا قريباً ... أعانقك »

وإذن ماذا ؟

وكان جان نوروا يلتهم خبر الجريدة بنظراته . ما كان أروع هذه التفاصيل :

« بعد أن تعشى في المكان المذكور مع امرأة ذات هيئة غريبة ، وبعد أن ذهبت صاحبته في الصباح الباكر ، طلب الفتى غرفة خاصة وأخذ يحتسي فيها وحيداً أكواب الشمبانيا . وبعد نصف ساعة كانوا يخرجون به منها وقد اخترقت صدغه رصاصة . والبحوث الأولى تحمل على الظن بأن الفتى عائد من المستعمرات . ومع ذلك لم يتمكن من معرفة هويته »

وكان صوت خفي يصيح بجان نوروا: «ليس هناك أي شك،

هذا الشاب المجنون هو موريس ... موريس العزيز ! وليس عليّ إلا أن أعدو ، لا أدرى أين ، للتعرف على جثته ! »

وكان جان قد وقف

وطُرق الباب فى تلك اللحظة ... فعرته رعشة وتمايل

أليس هذا هو الخبر المشؤوم يحملونه إليه ؟ وقفز ...

ومع ذلك كان يتردد ويده على الباب

ولكن الفرع عاود ...

— أبى العزيز ، أبى العزيز ! هذا أنا ! هذا ما كان يصيح به صوت عزيز عليه ...

وفتح الباب سريعاً ...

وبدا موريس جيلاً كالشبح

— أنت ؟ أنت ؟ أهذا أنت ؟

— ولم الدهشة ؟ ألم أخبرك بقدومى ؟

— و... قدمت ... من المحطة ؟

— ومن أين ترانى إذن أقدم ؟

ومد له « جان » ذراعيه ، فاندفع فيهما

ثم قال موريس :

— ما أشد سرورى برؤيتك ! كم ضجرت ، باريز . باريز العزيزة ! لم أكد أخترقها ، حتى أحيانى جوها !

وكان سكون ... كان « جان نوروا » يفترس ابنه بنظراته كما لو كان يحاول الوصول إلى أعماق فكره.. ثم صاح به وقد اصطكت أسنانه :

— لماذا عدت ؟

فأجابه موريس مازحاً :

— لأني عاشق

— أتجرؤ ؟

— ولم لا ، يا أبى العزيز ؟ فكرت فيها فوجدتها ساحرة ولا أدرى فى الحقيقة ما الذى يمنعنى من زواجها ...

— هم ؟ !

وكان جان نوروا قد رفع قبضته . وصاح به :

— أنت مجنون

— أوه ، ما هذا الذى تقول ؟

— ما أقول ؟ ستعود إلى السفر حالاً دون أن ترى « كريستيان » امرأة السوء هذه

فانفجر موريس ضاحكا :

— ولكننى لا أتكلم عن كريستيان ! هه ، لقد نسيتها منذ زمن ... أريد أن أتزوج فتاة — فتاة حقاً — لاقيتها هناك مع أسرتها ، وقد عادت إلى باريس

ولم يعد جان يصغى إلى ما يقول ، بل كان يضمه إليه

وقال موريس :

— ما أحسنك الآن ! لقد قطعت عليك عملك فيما أظن ، فأنت فيما أعرف لا تنقطع عن العمل ، أليس كذلك ؟ لقد قرأت هناك مؤلفك الأخير . بماذا تشتغل الآن ؟

فرمى جان نوروا قطعة من الورق على ما كان يكتب ، ولكنه لم يصب الهدف ، وصاح موريس :

— إمرأة نوح ! هه ، هذه القصة القديمة ! مسخت تمثالاً من الحجر جزاء التفاتة ! أعجب دائماً برموز الكتاب المقدس ! أما هذه النقطة فلن نتفاهم عليها قط .

فأجاب جان بحرارة :

— كلا ، لا تستطيع أن تفهم ، ولن تتخيل يا صغيرى كم يسرنى هذه المرة ألاّ تفهم ! . . .

ترجمة

« دمشق » نامى الطنطاوى

الافصاح فى فقه اللغة

معجم عربى : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لايستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب ، ثمنه ٢٥ قرشا يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه:

حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدى